بسم الله الرحمن الرحيم

الدفاع عن النبي ﷺ من ردات الفعل إلى النهج المستمر
(خطوات عملية للاستمرار)

ورقة مقدمة من د.عبد الحي يوسف
أستاذ مساعد في قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الخرطوم

المبحث الأول: قراءة الحَدَث:
المطلب الأول: دلالات الحَدَث:
المطلب الثاني: أهمية استِثمار الحَدَث:
المطلب الثالث: قراءة الحدث في سياق متكامل:
المطلب الرابع: أوهام التطبيع مع الغرب:
المطلب الخامس: منهج المداومة والاستمرار:
المطلب السادس: خطوات عَمَلِية للاستمرار:
المبحث الثاني: التوسُّع في فقهِ التأسِّي بالنبي صلى الله عليه وسلم:
المطلب الأول: العناية بالسنة: حفظا وفقها وتطبيقا:
المطلب الثاني: العناية بالسيرة تأصيلا وتطبيقا:
المطلب الثالث: إنشاء مراكز بحث متخصصة:
المطلب الرابع: عموم التأسي بالنبي ρ:

(الحمد لله ربِّ العالمين ! الرَّحمنِ الرحيم)، الذي مَنَّ على المؤمنين ببعثةِ خيرِ المرسَلين وخاتِمِ النبيّين، والصلاة والسلام على المبعُوثِ رحمةً للعالَمين، وعلى آلِه وصَحبِه الطيّبِين الطاهرين، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

وبعد، فإنَّ من رحمةِ الله بالعالَمين: أنْ أرسلَ إليهم خيرَ المرسَلين وسيّدَ الأولين والآخرين، كما قال عزَّ وجلَّ: (وما أرْسَلْناك إلا رحمةً للعالمين)،[1] ومن مِنَّةِ الله على المؤمنين أنْ اختصَّهم بالانتسابِ إلى سيّدِ المرسَلين وخاتِمِ النبيّين، فقال الله ﷻ: (لقد منَّ الله على المؤمنين إذْ بَعَثَ فيهم رسولا مِن أنفُسِهم يتلُو عليهم آياتِه ويُزَكّيهِم ويُعَلّمُهم الكِتابَ والْحِكْمةَ وإنْ كانوا مِن قَبلُ لَفي ضَلالٍ مُبِين).[2]

---

1 الأنبياء 107.

2 آل عمران 164.

وقد جاء وَصْفُ رسولِنا محمدٍ ﷺ نبيّ الرحمةِ في توراةِ موسى وإنجيلِ عيسى عليهما السلام؛ بتخفيفِ الأغلالِ ووَضْعِ الأحكامَ الثِّقال، كما قال تعالى: (ورَحْمَتِي وَسِعَتْ كلَّ شَيءٍ فأكْتُبُها لِلَّذين يَتَّقُون ويُؤْتُون الزكاةَ والذين هُم بآياتِنا يؤمِنُون ! الذين يَتَّبِعُون الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذي يَجِدُونَه مَكتُوباً عِندَهم في التَّوراةِ والإنْجِيل يأمُرُهم بالمعرُوفِ ويَنهاهُم عن المنكَر ويُحِلُّ لهم الطيِّباتِ ويُحَرِّمُ عليهم الخبائثَ ويضَعُ عنهم إصرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم فالذين آمنُوا به وعزَّرُوهُ ونَصَرُوه واتبَعُوا النُّورَ الذي أُنْزِلَ معه أولئك هم المفلِحُون).[3] وقال الرازي رحمه الله: "إنَّ بِعثةَ الرسولِ إحسانٌ إلى كلِّ العالَمِين؛ وذلك لأنَّ وَجهَ الإحسانِ في بِعثَتِه كونُه داعِياً لهم إلى ما يُخلِّصهم من عقابِ الله ويُوصِلُهم إلى ثوابِ الله، وهذا عامٌّ في حقِّ العالَمِين لأنه مبعُوثٌ إلى كلِّ العالَمِين كما قال تعالى: (وما أرْسَلْناك إلا كافةً للناس)،[4] إلا أنه لما لم ينتَفِعْ بهذا الإنعامِ إلا أهلُ الإسلام! فلهذا التأويلِ خَصَّ تعالى هذه الْمِنةَ بالمؤمنِين".[5]

المبحث الأول: قراءة الحَدَث:

المطلب الأول: دلالات الحَدَث:

- فقد كان لتعبيرِ بعضِ الحاقدين من اليهودِ والنصارى عن بُغْضِهم للإسلامِ ونبيِّ الإسلامِ ρ أثرٌ عظيمٌ في:

1. يقظةِ كثيرٍ من المسلمين من غفلتِهم، كما قال الله ﷻ: (هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).[6]
2. ووَعْيِهم بِما يُكِنُّه أعداءُ الإسلام لهم من البغضاء، كما قال الله ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ

3 الأعراف 157.

4 سبأ 28.

5 التفسير الكبير للرازي 64/9.

6 آل عمران 119.

بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ).[7]

3. وفضح دُعاةِ اتّباعِ الغرب من العلمانيّين الذين (يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً)،[8] والمنافقين كما قال تعالى: (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ).[9]

المطلب الثاني: أهمية استِثمار الحَدَث:

- فينبغي إدراك أهمية توثيق الحدث:
  - ✓ للاستفادةِ المثلى منه.
  - ✓ وحتى لا يكون مُجرَّدَ عاطِفةٍ تَسْتَعِرُ ثم تخبُو؛ لاعتِمادِها على الحماسة وحدَها دون عملٍ فِكريٍّ وإداريٍّ بنَّاء.
  - ✓ فهذا الحادث يدفعُنا إلى التعرُّفِ على جوانبِ القُوةِ والضعف فينا وفي عدوِّنا.
- وإنما أغرى أعداءنا بنا:

أولا: تخلُّفُنا الصِّناعي.

وثانيا: ضَعْفُنا العسكري مُقارَنةً به. وهما فرعان عن تخلُّفِنا العلمي.

وثالثا: تفرُّقُنا السياسي.

ورابعا: انقِسامُنا الاجتِماعي؛ وهذان فرعان عن التخلف التربوي.

المطلب الثالث: قراءة الحدث في سياق متكامل:

- فقد أراد أعداؤنا:
  1. استِكْمالَ حَمْلَتِهم العسكرية باحتلالِ بعض الدول الإسلامية.
  2. وحَملتِه الفِكرية الْمُعْتَمِدة على تسويقِ العولَمة والديمقراطية الغربيَّتين.
  3. بِحَملةٍ عَقَدِيةٍ تستهدف تشويهَ الإسلامِ دين الحق:
     - ✓ لإلْصاقِ تُهمةِ الإرهابِ والعُنفِ به.

---

[7] آل عمران 118.

[8] النساء 51.

[9] المائدة 52.

✓ والإساءة للنبيّ الخاتم ﷺ.

✓ وتشويه بعضِ شرائعِ الإسلام: مثل الجهاد الذي شُرِعَ للدفاع عن دينِ الإسلامِ ومُحارَبةِ من يُصادِرُ حقَّه في نشرِ دعوتِه، كما قال الله ﷻ: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ).[10] وقال ﷻ (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).[11] وقال تعالى: (وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ).[12]

المطلب الرابع: أوهام التطبيع مع الغرب:

1. فقد ذكرت هذه الإساءة للنبي ﷺ بالعداوة العقدية لليهود والنصارى، كما قال الله ﷻ (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ).[13] وقال ﷻ (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).[14] وقال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).[15]
2. بيان حسد اليهود والنصارى للمسلمين ورغبتهم في إضلالهم: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ).[16] وقال ﷻ (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).[17]

---

[10] الحج 39.
[11] البقرة 217.
[12] المائدة 13.
[13] البقرة 120.
[14] التوبة 32.
[15] الصف 8.
[16] البقرة 109.
[17] البقرة 105.

3. استِثمار هذا الوَعي وتَثبيتِه في قلوبِ المسلمين وعقولِهم؛ للاستفادةِ منه في أحداثٍ مُشابِهة؛ فقد قال ﷺ {لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ واحِدٍ مرَّتَين}![18] وقال جل جلاله (يا أيها الذين آمنوا خُذُوا حِذْرَكم).[19] وقال ﷻ (ودَّ الذين كفروا لو تغفُلون عن أسلِحَتِكم وأمتِعَتِكم فيميلون عليكم ميلةً واحدة).[20] وقال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).[21]

المطلب الخامس: منهج المداومة والاستمرار:

فقد علَّمَنا نبيُّنا ﷺ التربيةَ على منهجِ المداومة على الخير، والمواصَلة وعدم الانقطاع. وهذا منهجٌ تربوِيٌّ أوضَحَتْه السُّنةُ النبويةُ:

1. كما روى البخاري رحمه الله في كتاب الصوم، باب (صوم شعبان) عن عائشة ﵂ قالت: {أحَبُّ الصلاةِ إلى النبِيِّ ﷺ ما دُووِم عليه وإنْ قَلَّتْ، وكان إذا صلى صلاةً داوَمَ عليها}.[22]
2. وقد عقَدَ البخاري رحمه الله في كتاب (الإيمان) باباً ناطِقاً بهذا الهدي النبوي، فتَرْجَمَ: باب (أحَبُّ الدِّينِ إلى الله أدوَمُه)، وروى عن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ {كان أحَبُّ الدِّينِ إليه ما داوَمَ عليه صاحِبُه}.[23]
3. وروَى البخاري كذلك في كتاب التهجد، باب (ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومُه) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم {يا عبدَ الله، لا تَكُنْ مِثلَ فلانٍ، كان يقوم الليلَ؛ فترك قيام الليل}.[24] وروى أيضا في كتاب التهجد، باب (من نام عند السَّحَر) عن مسروقٍ قال: سألتُ

---

[18] رواه البخاري.

[19] النساء 71.

[20] النساء 102.

[21] الأنفال 30.

22 صحيح البخاري، حديث 1869، [43].

23 روى عن عائشة: أن النبي ρ دخل عليها وعندها امرأة، قال: (من هذه). قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: (مَهْ، عليكم بما تُطيقُون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا). وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه. صحيح البخاري، حديث 43، طرفاه: [1100، وانظر: 1869].

24 صحيح البخاري، حديث 1101.

عائشة ﵂: {أيُّ العملِ كان أحَبَّ إلى النبيِّ ﷺ؟ قالت: الدائم}.[25]

المطلب السادس: خطوات عَمَلِية للاستمرار:

– فلا بد من استثمارِ هذا الحدث في السَّعيِ في ترسيخِ خُطواتٍ عَمليةٍ مُستَمِرَّةٍ، منها:

- **أولا: إنشاء مواقع إلكترونية:** تقوم بثلاثِ وظائف:
  1. التعريف بالإسلام والدفاع عنه.
  2. التعريف بالنبي ﷺ، والذب عنه.
  3. التعريف بالشرائع الإسلامية المفترى عليها، والتي يسعى الأعداء إلى تشويهها: مثل
     - الجهاد، والخلط بينَه وبين الإرهاب والعنف.
     - وانتشار الإسلام بالقتال وليس بالدعوة بزعمِهم.
     - وقضايا حقوق الإنسان.
     - وبعض قضايا الأسرة.
- **ثانيا: إقامة قنواتٍ فضائيةٍ:** تقوم:
  1. بِمُخاطَبةِ المشاهِدين بغالِبِ اللغات العالمية، حتى الصينية والروسية، وعدم الاقتصار على الإنجليزية والفرنسية وحدَهما.
  2. والاستفادة من الإعلاميّين المسلمين وعُلماءِ الجالياتِ المسلمة في العالَم.
  3. وإنشاء قِسمٍ إعلاميٍّ للإشرافِ والتنسيقِ بين برامجِ القنواتِ وترجمتها.
- **ثالثا: إنشاء لجنة علميةٍ لاختِيار أحسَنِ الكُتُبِ والبُحُوثِ والأشرِطة** والأقراص الْمُدْمَجَة لمجموعة من العلماءِ والدُّعاة في العالَمِ الإسلامي، **ونشرها** على نطاق واسِع باللغة العربية وغيرها.
- **رابعا: استنفار الجمعيات الخيرية:**
  - للاستفادة من خبرتِها.
  - وتنسيق جُهودها.
  - ووضع خُططٍ مُتكامِلة بهدفِ التعريف بالإسلام والنبيِّ ﷺ.

25 صحيح البخاري، حديث 1080.

- خامسا: إقرار مادة (الدفاع عن الإسلام وشريعتِه ونبيِّه ρ) في المناهج الدراسية في المؤسسات التعليمية في العالَم الإسلامي:
  - ✓ وذلك بهدف التوعية بالحملة الشرِسة التي يشنها الأعداء على الإسلام.
  - ✓ وبيان عداوة اليهود والنصارى للمسلمين، وكيدهم للإسلام وأهله.
  - ✓ وغرس عقيدة الولاء والبراء في المناهج التعليمية؛ فهي أعظمُ وِقايةٍ وصمَّامُ الأمانِ في هذه المواجهة.
  - ✓ التوسع الإيجابي في بيان (فقه الجهاد):
    - ○ والتوعية بآدابه.
    - ○ ودفع الشبهات عنه.

المبحث الثاني: التوسُّع في فقهِ التأسِّي بالنبي صلى الله عليه وسلم:

– ينبغي توسيع جوانب العناية فيما يتعلق بالنبي ﷺ في حياة المسلمين؛ حتى تشمل النواحي المنهجية ولا تقتصر على النواحي العملية. سواءً بالنسبة للناسِ عُموماً، أو للدُّعاةِ خُصوصاً، أو للمؤسسات التعليمية والتربوية في المجتمع:

- المطلب الأول: العناية بالسنة: حفظاً وفقهاً وتطبيقا:
  - ✓ دراسة أطراف الصحيحين على نطاق واسِع في المؤسسات الإعلامية والتعليمية .
  - ✓ وبيان معاني الصحيحين وتيسير فقهِهما لعامة المسلمين.
  - ✓ العناية بشرح جوامِعِ الكَلِم النبوي، وإفراد الأحاديث النبوية بدراساتٍ تجمع بين العلوم الإسلامية والمعارف المعاصرة.
  - ✓ نشر الوعي بصلاحية السنة النبوية للمساهمة العلمية في قضايا الإدارة والاجتماع والإعلام والسياسة...
- المطلب الثاني: العناية بالسيرة تأصيلاً وتطبيقا:

- لدراسة السيرة النبوية دراسة علمية موضوعية راشدة.
- ومناقشة قضايا مهمة مثل:

1. الجوانب الإعلامية في السيرة النبوية.
2. فقه الحرب والسلم في المغازي النبوية.
3. فقه الصلح والتفاوض بالضوابط الشرعية من خلال صُلح الحديبية.
4. فقه الخصائص النبوية.
5. تبليغ الدعوة في العهد النبوي: من خلال مُقابَلة الوُفود ومُراسَلة الملوك.
6. الوعي الإعلامي في صدر الإسلام، وفقه الإسرار والإعلان في الفترتين المكية والمدنية.

• المطلب الثالث: إنشاء مراكز بحث متخصصة:

لوضع فهرسة علمية أبجدية للسنة النبوية:

1. على حسب الموضوعات والأبواب. مع تمييز الصحيح والحسن عن الضعيف.
2. على حسب مسانيد الرواة من الصحابة والتابعين ﷺ: (مثل مُسنَد الصِّدِّيق في الكتب الستة، ومُسنَد الفارُوق، ومسانيد غيرهما من الصحابة بدايةً من المكثرين مثل أبي هريرة وابن عباس وعائشة ﷺ أجمعين...، ومسند الزُّهري، والشَّعبي ومالك والثوري وغيرهم من التابعين وتابعيهم.. مع ترتيبها على حسب الأبواب الفقهية، وتمييز الصحيح والحسن من الضعيف...).

المطلب الرابع: عموم التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم:

✓ سياسيا:

1. باتباع سياسةٍ شرعيةٍ راشدةٍ، على هديِ النُّبُوَّة.
2. وبث الشورى، وتقريب أهل الرأي والخبرة.
3. واستعمال أهل العلم والكفاءة والأمانة.
4. وبسط العدل والإحسان بين الناس.

5. ورعاية مصالح الدين والدنيا في حياة الناس.
6. والحفاظ على الحقوق العامة والخاصة.

✓ واجتماعيا:

1. ببذل المعروف إلى الناس.
2. والتيسير عليهم والرفق بهم (ماديا وإداريا وسياسيا).
3. وتقديم منافع التعليم والصحة وسائر المرافق لهم.
4. وتوفير فرص العمل الشريف والقضاء على البطالة.
5. وإعانة المحتاجين وكفالة الأيتام والأرامل وأصحاب الحاجات.
6. تيسير الزواج وإعانة الشباب على ذلك.

✓ ودعويا:

أولا: الدعوة السهلة الميسرة:[26]

ثانيا: الشفقة على من لم يُسْلِم:[27]

ثالثا: مراعاة أعراف الناس في الدعوة:[28]

رابعا: دعوة أهل الكتاب بالحسنى: [موقف النبي ﷺ مع ابن اليهودي]: كما روى البخاري رحمه الله في كتاب الجنائز، باب (إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟) عن أنس τ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه

---

26 ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري رحمه الله في كتاب الزكاة، باب (وجوب الزكاة) عن أبي هريرة τ: أن أعرابياً أتى النبي ρ فقال: دلني على عمل، إذا عملته دخلت الجنة. قال: (تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان). قال: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا. فلما ولَّى، قال النبي ρ: (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا). صحيح البخاري، حديث 1333.

27 قال النحاس والصنعاني رحمهما الله: "عن قتادة في قوله تعالى: (حَرِيصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحِيمٌ) قال: حرِيصٌ على من لم يُسْلِمْ أنْ يُسْلِم". معاني القرآن للنحاس271/3. وتفسير الصنعاني 291/2. وقال السيوطي رحمه الله: "وأخرجَ ابنُ أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابنِ عباس في قوله: (عزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ)، قال: شديدٌ عليه ما شقَّ عليكم (حريصٌ عليكم) أن يؤمن كفارُكم. وأخرجَ ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: قال رسولُ الله ρ: {جاء جبريل فقال لي: يا مُحَمَّد إن ربك يقرئك السلام، وهذا ملَك الجبال قد أرسلَه الله إليك وأمَرَه أنْ لا يفعلَ شيئا إلا بأمرِك! فقال له مَلَكُ الجبال: إنَّ الله أمرني أنْ لا أفعَلَ شيئا إلا بأمْرِك إنْ شئتَ دمدَمتُ عليهم الجبال! وإنْ شئتَ رميتُهم بالحصباء! وإنْ شئتَ خسفتُ بهم الأرض! قال: يا ملكَ الجبال فإني آتي بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا إله إلا الله؛ فقال ملَكُ الجبال عليه السلام: أنت كما سماك ربك: رؤوف رحيم)". الدر المنثور للسيوطي 333/4.

28 فقد روى البخاري رحمه الله في كتاب العلم، باب (ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان) عن أنس بن مالك قال: كتب النبي ρ كتابا – أو أراد أن يكتب – فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة، نقشه: مُحَمَّد رسول الله، كأني أنظر إلى بياضه في يده). صحيح البخاري، حديث 65، [2780، 5534، 5537، 6743].

وسلم فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم). فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار).[29]

خامسا: حسن المعاملة مفتاح القلوب للدعوة:

1) نموذج من حسن معاملة الأسير: (أطلقوا ثُمامة).[30]

2) نموذج من الإحسانِ والبرّ: [موقفه صلى الله عليه وسلم مع صاحبة المزادتين]:[31]

وطُرُقُ التأسِّي بالنبِيّ ﷺ كثيرةٌ، وهي تشمل تطبيقَ الهدي النبوي الشريف في حياة المسلمين. وهذه نماذج منها، وهي أوْسَعُ مِن أن تحيطَ بها هذه الورقةُ المختصَرة.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى

---

29 صحيح البخاري، حديث 1290، [5333].

30 روى البخاري رحمه الله في باب (الاغتسال إذا أسلم، وربط الأسير أيضا في المسجد) عن أبي هريرة قال: (بعث النبي ρ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ρ فقال: (أطلقوا ثُمامة). فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّدا رسول الله). صحيح البخاري، حديث450، أطرافه: [457، 2290، 2291، 4114].

31 روى البخاري رحمه الله في كتاب التيمم، باب (الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء) عن عمران قال: كنا في سفر مع النبي ρ، وإنا أسرينا، حتى كنا في آخر الليل، وقعنا وقعة، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان – يسميهم أبو رجاء فنسي عوف – ثم عمر بن الخطاب الرابع، وكان النبي ρ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه، فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس، وكان رجلاً جليدا، فكبر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير، حتى استيقظ بصوته النبي ρ، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم، قال: (لا ضير أو لا يضير، ارتحلوا). فارتحل فسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته، إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم، قال: (ما معنك يا فلان أن تصلي مع القوم). قال: أصابتني جنابة ولا ماء، قال: (عليك بالصعيد، فإنه يكفيك). ثم سار النبي ρ، فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل فدعا فلانا –كان يسميه أبو رجاء نسيه عوف – ودعا عليا فقال: (اذهبا فابتغيا الماء). فانطلقا، فتلقيا امرأة بين مزادتين، أو سطيحتين من ماء على بعير لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، ونفرنا خلوف، قالا لها: انطلقي إذا، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ρ، قالت: الذي يقال له الصابىء؟ قالا: هو الذي تعنين، فانطلقي، فجاءا بها إلى النبي ρ وحدثاه الحديث، قال: فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبي ρ بإناء، ففرغ فيه من أفواه المزادتين، أو سطيحتين، وأوكأ أفواههما، وأطلق العزالي، ونودي في الناس: اسقوا واستقوا، فسقى من شاء، واستقى من شاء، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء، قال: (اذهب فأفرغه عليك). وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وايم الله، لقد أقلع عنها، وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملأة منها حين ابتدأ فيها، فقال النبي ρ: (اجمعوا لها). فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة، حتى جمعوا لها طعاما، فجعلوها في ثوب، وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: (تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا، ولكن الله هو الذي أسقانا). فأتت أهلها وقد احتبست عنهم، قالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب، لقيني رجلان، فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له: الصابىء، ففعل كذا وكذا، فوالله، إنه لأسحر الناس ممن بين هذه وهذه – وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة، فرفعتهما إلى السماء: تعني السماء والأرض – أو إنه لرسول الله حقا. فكان المسلمون بعد ذلك، يغيرون على من حولها من المشركين، ولا يصيبون الصِّرم الذي هي منه، فقالت يوما لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدا، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام). صحيح البخاري، حديث 337، طرفاه: [341، 3378].

آله وصحبه أجمعين.